منهج الدراسة :

اعتمد الباحث في هذه الدراسة على منهج وصفي تحليلي، حيث لجأ إلى عدد طيب من الكتب التراثية المختلفة للبحث عن نصوص ذات علاقة بقضية وقف الكتب والمكتبات، ومن ثم قام بتجميعها، وعمل على مقارنتها وفحصها والتعليق عليها، كما استعان بمراجع حديثة أغلبها يتصل بدراسة تاريخ الكتب والمكتبات عند العرب والمسلمين، ومكنته تلك النصوص من استخلاص الحقائق التي طرحها في ثنايا البحث.

كما استفاد الباحث من عدد كبير من المخطوطات التي تحمل نصوصاً وقفية مكنته من التعرف على أساليب صياغة نصوص الوقفيات وأنماطها، اختار جملة منها ضمنها هذا البحث، واستخرج منها حقائق عن كيفية إدارة الوقف وحفظه.

وقد عمد الباحث إلى توزيع هذه الدراسة على مقدمة وستة فصول، ثم النتائج والتوصيات.

فتناول في الفصل الأول خطة الدراسة ومنهجها حيث عرض للحركة الثقافية والتعليمية، وما أسهم به الوقف من تعميق جذورها وبسطها على رقعة كبيرة من العالم العربي الإسلامي، وأهداف الدراسة ومسلماتها ومنهجها.

ودار الفصل الثاني حول المكتبات العامة وتطور إنشائها، ومدى انتشارها وحجم مجموعاتها، والمصير الذي آلت إليه فيما بعد.

وفي الفصل الثالث: تناول مكتبات الجوامع والمساجد والمدارس، وقد جعلها في فصل واحد نظراً لتشابه الهدف من وراء ايجادها فيها، وكان هدفاً تعليمياً في الغالب، إذ قامت المساجد والجوامع بدور المدارس في الفترات الأولى من التاريخ الإسلامي.

ويتعرض الفصل الرابع: لمكتبات كانت أقل انتشاراً من سابقتها، وإن كانت تعد نماذج فريدة في التاريخ الحضاري، وهي مكتبات المارستانات (المستشفيات) والربط والخانقاهات التي تكشف عن اهتمام منقطع النظير بإشاعة القراءة بين

الأفراد والوصول إليهم في كل مكان، كما اشتمل الفصل على جزء تحدث فيه الباحث عن الوقف الخاص وما أدى إليه من ظهور مكتبات وقفية خاصة بالأسر والأفراد.

وقد رتب الباحث المكتبات التي تحدث عنها في الفصول الثلاثة السابقة اعتماداً على أقدم نص يشير إلى أن كتباً قد تم وقفها عليها، أو اعتماداً على تاريخ تأسيسها مكتبة وقفية، وعند ورود إشارة مغفلة من التاريخ فإن الاعتماد على تاريخ تأسيس الجهة، وقد سار الباحث على هذا النهج باعتبار أن الكتاب يتحدث عن وقف الكتب والمكتبات، وليس عن تاريخ إنشاء الجهات التي تضم أوقافاً من الكتب.

وعالج الفصل الخامس: قضايا تتصل بالتنظيم والإدارة، وقد استفاد الباحث فيه من النصوص الوقفية التي جاءت على بعض المخطوطات التي اطلع عليها، ومما أشار إليه طرق إثبات الوقف التي جاءت على أنماط متعددة، كما ناقش جملة من القضايا ذات الصلة بالإدارة والتنظيم مثل أبنية المكتبات، وسبل اختيار الكتب الوقفية والإشراف على الوقف وإدارته، وتنظيم المكتبات الوقفية.

أما الفصل السادس وهو الأخير فقد خصص للبحث في مصائر الكتب والمكتبات الوقفية، وقد ارتكز على محورين الأول: كان لمرحلة الضياع والتشتت التي أدت إلى فقدان عشرات الآلاف من المخطوطات، والثاني: مرحلة العودة إلى التجميع من خلال التنبه إلى الأضرار المفرطة التي أصابت الوقف الإسلامي في هذا المجال.

ثم انتهى الكاتب إلى سرد جملة من النتائج والتوصيات التي جاءت ثمرة لكل ما تناوله في الفصول السابقة.

ولا شك أن العينة المخطوطة التي استند عليها في استخراج النصوص تعد عينة شاملة غطت جوانب كثيرة تتعلق بهذا الموضوع، كما أن النصوص التراثية التي استند عليها قدمت هي أيضاً صورة جيدة لمسار هذا الجانب الحضاري في تاريخنا العربي الإسلامي.